

الديمقراطية فى الاسلام

جاسم محمد تقى

بعد ١٤ قرنا من الزمن لازال المسلمون يعيشون على مفترق الطريق بلاهوية واضحة محددة المعالم . وعلى الرغم من ان الرسول القائد محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقادة من بعده هزوا معاقل ومراكز القوى وسخروا الطبيعة والعلم لخدمة الانسان فان الجيل المسلم اليوم مغلوب على أمره لا يعرف ما العمل!! ولعل ذلك يعود بالدرجة الاساسية الى دور قوى الردة الاسلامية والقوى الجاهلية الرجعية التى لم تتشبع فيها روح الاسلام ، ومن بعدها القوى الاستعمارية التى قامت بتحريف ضحيم بمفاهيم الاسلام ليخدم مصالحها وليضفى الشرعية على اغتصابها السلطة باسم الدين باسم الله ، بنظرية التفويض الالهى ، بحجة انقاذ الدين من أخطار موهومة . . . الخ .

ان اختفاء الديمقراطية الحققة التى مارسها المسلمون فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين قد لعبت دورا كبيرا فى هذا الجمود وفى تمكين هذه القوى لتسئى الى الاسلام اساءة عظمى لا تفتقر . فقد شجعت تلك العناصر الانانية والعرقية والعنصرية والقبلية على

جمود الفكر لدى جمهرة المسلمين وقوت من أيدي السلفية والانغلاق
والسكون التي ساعدت الى حد ما في تقوية تلك العناصر واضفاء
الشرعية على اغتصابها السلطة .

لذلك لا عجب اذا رأينا هذه الأيام ، العديد من العناصر تدعى بأن
لاديمقراطية في الاسلام وتلك لعمرى تهمة الحمقى والمفترين فعناصر
القوى المضادة للثورة الاسلامية تتشبث بالآية الكريمة : « . . . اطيعوا
الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم (١) » لتدلل على ان لا خيار أمام
الامة الاسلامية الا الطاعة والانقياد لحكامها بينما تبتز هذه الفئة بقية
لنفس الآية التي هي كالتالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتن في شئ فردوه الى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا . » .

فماذا يمكن ان نستخلص من هذه الآية الكريمة ؟ اننا يمكن ان

نجزئها الى مايلي :

(١) ان طاعة أولى الأمر هي معطوفة على طاعة الرسول وطاعة
الرسول معطوفة على طاعة الله والمعنى الواضح وما تدل عليه اللغة أن
يكون - « أولى الأمر » ممن يسير على سيرة الرسول وسنن وأحكام الله
أى ان « أولى الأمر » ليست اية فئة تتسلم الحكم وتستغل الدين
وأحكامه السمحاء لضمان مصالحها على حساب الجماهير الاسلامية .

(٢) ان الذى يمكن ان افهمه من « اولى الأمر » هو « مجموعة
صانعى القرار » وهؤلاء لا بد من ان يكونوا ممثلين حقيقيين للأمة
الاسلامية ، لأن اتخاذ القرار وصنعه هي عملية تتعلق بمصير الأمة
ورسالتها السامية ولا يمكن ان تقوم به أية فئة كانت .

(٣) ان الآية الكريمة تقر وجود « التنازع » وهذا لا يمكن ان

يحدث الا باختلاف النظر . بل انها لاتستبعد الخلاف حتى بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم وتطلب من المسلمين ان يردوه الى الله والرسول .

(٤) ان المرجع الأول للخلاف هو « الله » ، اى أحكام الله كما جاءت بالقرآن الكريم أى وجود دستور معين واضح المعالم فان لم يجد المسلمون ضالتهم فى هذا الدستور . فعليهم بالرسول وهو من صانعى القرارات .

اننى لا أريد أن أحمل القرآن الكريم معانى فوق ما يقتضيه ، المنطق والفهم اللغوى والباطنى ولكننى أجروء على القول ان هذه الآية القرآنية توصى الى بمايلى حسب ماشرحته آنفا :

(١) صانعو قرارات يمثلون الأمة الاسلامية أى ممثلون منتخبون .

(٢) دستور فيه أحكام أساسية وهو القرآن الكريم .

(٣) اختلافات ونقد ومعارضة بين المسلمين فى بعض الأمور أو فى

كثير من الأمور ترد الى الدستور (القرآن) ثم الى (الرسول) أى الرئيس المنتخب .

فأين نحن اذا من الاوتوقراطية والدكتاتورية ونظرية التفويض الالهى والرجعية بالاسلام ؟

ليس هذا فحسب بل ان الله تعالى يبين بشكل واضح فى القرآن

الكريم مايلى :

١- لا يمكن ان تمثل الأمة لاوامر رئيسها اذا كانت هذه الأوامر

منافية لأحكام الدستور . اذ يقول الله تعالى : « ومن لم يحكم بما

انزل الله فأولئك هم الكافرون » (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : « لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . ولا بد ان يكون هذا

التصور الاساسى لطليعة الشباب المسلم الثورى هو الذى ادى بهم الى الفتنة الكبرى ومقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه . كما لا بد وان يكون هذا التصور هو الذى ادى الى انقسام جيش الأمام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بسبب التحكيم وهو ما سنتكلم عليه فيما بعد .

فمن من قادة المسلمين نجا من النقد ؟ واذا كان رسول الانسانية جمعاء هو أول ما تعرض لانتقادات عديدة من العاقل العالم العارف بالذات . (٣) وبعضها قوية ، فكيف يمكن ان تنقاد الأمة لحكامها وهم على ضلالة ؟ ذلك لعمرى اسلام ليس اسلامنا وفكر ليس فكرنا وممارسة لا يمكن ان يقرها الاسلام بأى حال من الأحوال .

القرآن والرسول القائد يضعان الأسس للديمقراطية فى الاسلام فانظر الى الشارع كيف يضرب المثال ليكون أسوة حسنة للمسلمين (٤) . فهو ينتقد الرسول القائد لتوليه عن رجل أعمى (٥) بالقرآن فى سورة عبس : « عبس وتولى . أن جاءه الاعمى وما يدرىك لعله يزكى . او يذكر فتنبهه الذكرى . أما من استغنى . فانت له تصدى . وما عليك الايزكى . وأما من جاءك يسعى وهو يخشى . فانت عنه تلهى . كلا انها تذكرة» (٦)

وانظر الى الشارع كيف يخاطب الرسول القائد بالقرآن الكريم : «لو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين . وانه لتذكرة للمتقين » (٧) اذا لم يستثن الله تعالى حتى رسوله من الحساب . فالكل محاسب ومسئول عند الله حتى رسول الله وخاتم الانبياء والرسالات السماوية الذى يخاطبه الله تعالى فيقول له : « وانك لعلى خلق عظيم » (٨)

ثم ان الله تعالى يخاطب الرسول : « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم » (٩) .
والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا الصدد هو : اذا كان الله تعالى هو السلطة العليا فى المراقبة والمحاسبة أيام الرسول ، فمن تكون هذه السلطة بعد الرسول ؟ والجواب على هذا السؤال لا بد وأن يكون . ان ممثلى الأمة المسلمة الحقيقيين لا بد وأن يكوّنوا هذه السلطة ، فقائد الأمة الاسلامية بحاجة الى مثل هذه الهيئة ليستشيرها فى أمور الدين والدنيا . ولذلك فلاعجب اذا قام رجل من عامة الناس ليقول لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : « لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » والتاريخ شاهد على مدى النضج السياسى لدى الأمة الاسلامية وتمثل هذا النضج فى ظهور قوى معارضة قوية (١٠) حتى فى عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأن اتخذت هذه المعارضة مختلف الصور وكان بعضها سلبيا وقد تمثلت بالمنافقين بينما كان الآخر ايجابيا وتمثلت بالصفوة المؤمنة الحريصة على احقاق الحق وأبطال الباطل مهما كان الثمن .

لقد سفه الرسول القائد محمد صلى الله عليه وآله وسلم عادات الجاهلية قولاً وعملاً وامره الله تعالى بزواج امرأة ابنه بالتبني زيد بن حارثة : « . . . فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » (١١) .

وقد استغل هذا الأمر المستشرقون وهولوه واتخذوا منه منفذا للطعن بشخصية الرسول القائد بمختلف الاوصاف التى تروق لهم غير ان القرآن الكريم اعطى المبرر فى الآية الثانية . . . « ما كان على

النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا . الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا . (١٢)

ولقد كان هذا الأمر من أصعب الأمور على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى أمره بذلك كما ترى في الآية اعلاه . اذن فقد غير الرسول القائد المفاهيم القديمة البالية وجاء بمفاهيم جديدة واعلن ثورة على القديم بل وتقدم بمفاهيم جديدة في الدين ذاته فلم تعتمد رسالته على المعجزات الخارقة للطبيعة بل تركزت على الاقناع لأنه (لا أكراه في الدين) (١٣) وهو جاء ليتم الاخلاق الفاضلة كما قال عليه الصلوة والسلام « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

ولقد ذكر القرآن الكريم العديد من الصفات الانسانية للرسول القائد ولا بد أن الشارع يهدف من وراء ذلك تبيان قصور الانسان ولو كان نبياً ورسولاً من الله تعالى ، فلا عجب اذا قال الله لرسوله . قل انما انا بشر مثلكم ، . واذا قال القرآن الكريم : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ،» (١٤) وقال : « سنقرئك فلا تنسى ، . (١٥) وعندما قبل الفدية يوم بدر قال تعالى . « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ،» (١٦) واراد الرسول القائد يوم الاحزاب ان يتقى المشركين ببعض ثمار المدينة وكاد أن يجيب المشركين مما ارادوه . (١٧) يتألفهم بذلك ، فانزل الله عزوجل قوله : « ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلاً . اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا ،» (١٨) .

ان الله تعالى عصم الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع مظاهر الانحراف ، وعن كل ما لا يتفق مع مقتضيات الدعوة التي هياها الله تعالى له . (١٩) وهذا أمر طبيعي ولكن ليس معنى هذا ان الرسول لم يكن يعيش كأي انسان عادي وان أهداف التشريع للرسالة الاسلامية الخالدة اقتضت منه ان يسلك سلوكا مغايرا للعصمة المطلقة فالعصمة لله وحده جل وعلا ولا يمكن ان يشاركه في صفاته الذاتية العليا أحد على الاطلاق مهما ارتفعت منزلته ومكانته .

والشارع يعرف طبيعة النفس التي خلقها لذلك يقول في محكم كتابه المجيد : « وكان الانسان أكثر شيء جدلا » . (٢٠) ويطلب من رسوله القائد « وجادلهم بالتي هي أحسن » (٢١) ولعل تلك الصفات الديمقراطية الحققة التي اتسم بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هي التي جعلت الناس يلتفتون حوله « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » (٢٢) .

ومن أول الظواهر على ديمقراطية الاسلام هي الشورى . فقد أمر الله رسوله بها ، اذ قال : « وشاورهم في الأمر » (٢٣) كما ان الشارع قال : « وأمرهم شورى بينهم » . (٢٤)

فقد استشار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ في أمر الصلح عندما اشتد على الناس البلاء في واقعة الخندق فابى سعد ذلك . (٢٥) وشاور الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في اختيار الموقع الحربي في بدر فاشاروا عليه موقعا آخر قرب الماء ولما استشار أصحابه في أسرى بدر (٢٦) تعرض لما أصابه من اللوم عندما خاطبه الله تعالى : « ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة . » . (٢٧)

ان اعجاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بفكرة سلمان
الفارسي بحفر الخندق انما يدل على أن الحكمة هي ضالة المؤمن وان
الاسلام يشجع المسلمين على التفكير والتدبر وان لا اتوقراطية
ولا فردية فيه وانما ديمقراطية تستمد جزورها من الدستور الالهي الذي
رضى الله تعالى به دستورا كاملا للانسانية جمعاء ،، اليوم أكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ،، . (٢٨)

ولقد تحمل الرسول الكريم أمورا معقدة لا يطيقها بشر على أيدي
المنافقين الذين أظهروا الاسلام وأضمرُوا الكفر وكانوا يقولون لا اله
الا الله فيعضمون دماءهم وأموالهم . (٢٩) بل أن الرسول واجه معارضة
من المسلمين انفسهم فعالجها باخلاقه العالية باللين والحجة والمنطق
والاقناع . فقد أعترض أحد الرجال على اعطاء النبي غنائم حنين
لبعض المؤلفة قلوبهم وواجه النبي باعتراضة فقال : ،، اعدل يا محمد
(صلى الله عليه وآله وسلم) فانك لم تعدل . ،، فلم يزد النبي في جوابه
على ان قال : ،، ويحك فمن يعدل اذا لم أعدل ،، ؟ واستأذنه بعض
الصحابة في قتل هذا الرجل فأبى . (٣٠)

وكان عمر بن الخطاب يطالب النبي ويلح عليه على احتجاج
نسائه وقد تعرض مرة لسودة أم المؤمنين في بعض طريقها وقال لها :
،، لقد عرفناك ياسودة ،، . فاحرجها واحفظها (٣١) وما زال يتدخل في
شئون أزواج النبي حتى قالت له أم سلمة أم المؤمنين ،، الله انت يا ابن
الخطاب ، دخلت في كل شيء حتى تريد ان تدخل بين النبي وأزواجه (٣٢)
ومهما يكن الأمر فالملاحظ ان الصحابة كانوا ينطلقون من نية
حسنة وأمامهم مخافة الله والحرص كل الحرص على الرسالة وكل من
يتصل بها . وكان بعضهم يتطرف في تقديس الرسول الى درجة طلب

الاذن منه صلى الله عليه وآله وسلم لقتل من ينتقده كما حصل في توزيع غنائم حنين التي اوردناها آنفا ولكن الرسول كان يتصرف تصرفا آخر مليئا بالحكمة والتروي ونفاذ البصيرة وتطبيق أحكام بنود الدستور الاسلامي . وظل الرسول صلى الله عليه وسلم يلتزم بمبدأ الشورى مع أصحابه في كافة القضايا السياسية والشرعية وفي كل أمر لانص فيه من كلام الله تعالى لدرجة اعتبر المسلمون الشورى الاساس التشريعي الدائم في كل ما لم يثبت نص رضى ملزم فيه من الكتاب أو السنة . (٣٣) .
الاسلوب العملي المتدرج :

امتاز الاسلام بانه نظام عملي جاء الى البشرية جمعاء بصورة تدريجية في كل أحكامه لذلك لا يعقل ان يطفر طفرة كبيرة بالنسبة لنظام الحكم ، لأن المجتمع العربي في صدر الاسلام كان مجتمعا قبليا يتألف من عدة قبائل كانت عادة ما تتحارب فيما بينها لأتفه الاسباب (٣٤) وكان النظام القبلي هو المسيطر على كل شى والقبيلة توفر الحماية التامة لافرادها وقال العرب : (انصر اخاك ظالما او مظلوما) .
 واذا علمنا مدى سيطرة النظام القبلي على الافراد ادركنا معارضة المجتمع لكل جديد ومن هنا ندرك صعوبة مهمة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فكان على الرسول القائد ان ينشر رسالته في وسط قبلي بدوى وأن يتحمل جهل وخشونة وبداعة الاعراب بشكل خاص (٣٥) وكانت القبائل العربية تتضامن فيما بينها للدفاع عن بعضها الآخر (٣٦) بروح البداوة المتأصلة فيها . وهكذا جابه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هذه المهمة العويصة لاسيما وقد قال الله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو

اخوانهم أو عشيرتهم « (٣٧) .

فالنظام السياسى فى الاسلام تجربة عربية فريدة من نوعها حاولت منح الحرية السياسية واقامة العدالة الاجتماعية فى وسط بدوى قبلى غير متحضر . أنه نقيض الحكم الاوتوقراطى والفردى والفاشى والنظم الاخرى التى استذلت الناس وضحت بالحرية والعدل واخضعتهم لقوة الدولة واستغلتهم ابشع استغلال واشنع . (٣٨)

وحاولت القوى المعارضة للثورة الاسلامية بذل قصارى جهدها للنيل من سماحة الاسلام وتواضح الرسول فزعم المنافقون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مايجلس عند المروة الى مبيعة غلام نصرانى يقال له جبر ، عبد لابي الحضرمى ، وكانوا يقولون : « والله يعلم محمد كثيرا مما يأتى به الاجبر النصرانى غلام ابن الحضرمى (٣٩) فانزل الله تعالى فى ذلك : « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين » . (٤٠) .

وظل الرسول صلى الله عليه وسلم يرفق بعامة الناس سواء كانوا من معارضيه أم من أصحابه وابدى قدرة عجيبة تفوق البشر على تحمل هذه المعارضة القوية وبعضها وصل من الوقاحة لدرجة الطعن برسالته الاسلامية الخالدة . فوصل الامر بمسيلمة الكذاب ان كتب مايلى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارسله مع رسولين : « من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اما بعد ، فانى أشركت فى الامر معك ، وان لنا نصف الأمر ، ولقريش نصف الأمر ، وليس قریش قوما يعدلون » .

وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع

الهدى . اما بعد ، فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . . وقال رسول الله للرسولين : « وانتما تقولان بمثل مايقول ؟ »
 قالوا : نعم . فقال : « اما والله لولا أن الرسل لا تقتل ، لضربت اعناقكما . . » (٤١)

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يصغى لآراء الصحابة ويترك لهم مطلق الحرية للتعبير عما يرونه . فقد عارض جمهرة من المسلمين صلح الحديبية وبنوده بما فى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه لدرجة انه قال : « ... والله ماشككت منذ اسلمت الا يومئذ فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الست نبى الله حقا ؟ قال بلى ، فقلت : علام نعطى الدنية فى ديننا اذا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبين اعدائنا؟ فقال :انى رسول الله وهو ناصرى ولست اعصيه ، قلت : او لست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى ، أفاخبرتكم انك تأتية العام ، قلت : لا ، قال : « فانك آتية ومطوف به ، » (٤٢) ولم يكتف بذلك بل انه حاور ابا بكر فأجابه نفس الجواب . (٤٣) .

وفى واقعة الخندق اراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يصالح عيينة بن حص والحارث بن عوف رئيسى غطفان ، على ثلث ثمار المدينة - وينصرفا بقومهما ، وجرت المفاوضة على ذلك ، فاستشار السعدين فى ذلك فقالوا : « يارسول الله ان كان الله امرك بهذا ، فسمعا وطاعة ، وان كان شيئا تصنعه لنا ، فلا حاجة لنا به ، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان ، وهم يطمعون أن يأكلوا منها تمرة الا قرى أو بيعا ، فحين أكرمنا الله بالاسلام ، وهدانا له ، واعزنا بك ، نعطيهم أموالنا ؟ والله لانعطيهم الا السيف . . »

فصوب الرسول رأيهما وقال : « انما هو شيء اصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة » . (٤٤)

فانت ترى اجتهاد الصحابة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى . وبلغ هذا الاجتهاد فى بعض الاحيان درجة اغضبت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . فعندما أرسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد الى بنى جذيمة ليدعوهم الى الاسلام ، فان خالد اسرهم وأمر بضرب اعناقهم على الرغم من انهم نطقوا بالشهادة ، وعندما بلغ الأمر الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم انى ابرأ اليك مما صنع خالد ، (٤٥) وبعث عليا يؤدى لهم قتلاهم وما ذهب عنهم .

الاسراء والمعراج :

وبلغت معارضة الرسول ذروتها بعد حادث الاسراء والمعراج فعندما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم قريشا به كذبه بل ان العديد من المسلمين ارتدوا وذهب بعض المسلمين الى ابي بكر رضى الله عنه فانكر اولا ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك ولكنهم لما أكدوا ذلك قال لهم : « والله لئن كان قاله لقد صدق » . (٤٦) .

وقد استهزأ بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم العديد من عليية القوم من بنى زهرة وبنى مخزوم وبنى سهم وبنى خزاعة وغيرهم وقد دعا على احدهم . وهو الاسود بن المطلب بن اسد . لما كان يبلغه من اذاه واستهزائه به فقال : « اللهم اعم بصره واكله ولده » . (٤٧) .

وقد اصر الرسول صلى الله عليه وسلم على اعلام قريش بالاسراء والمعراج على الرغم من ان أم هانئ بنت ابي طالب قالت له : « بأبى انت وامى لاتذكر هذا لقريش يكذبوك » ، (٤٨) .

ولما كذبت قريش محمدا صور الله تعالى له بيت المقدس فأخذ يذكر لهم تفاصيله بشكل عجيب وكأنه مائل امامه . (٤٩) ونقل عن عائشة الصديقة أم المؤمنين انها قالت : « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله اسرى بروحه » . (٥٠)

بهتان الافك :

وعندما وجد المنافقون أن كافة وسائلهم فشلت قالوا ما قالوه من بهتان الافك عندما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق سنة ٦ هـ .

وعالج الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بروح عظيمة وصبر وتجلد كبيرين فاستشار الصحابة لاسيما علي بن ابي طالب واسامة بن زيد رضى الله عنهما فأشار عليه علي أن يسأل جارية عائشة عنها (٥١) . ولكن الجارية لم تعرف عنها الاخيرا . كما ان الوحي تأخر لمدة شهر مما عقد الأمر فزادت هموم الرسول ولكنه ظل ملتزما بالحكمة والصبر حتى برأ الله تعالى عائشة رضى الله عنها بقوله جل وعلا : « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم » . (٥٢)

وعلى الرغم من ان المنافق عبدالله بن ابي قال الافك فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤذ ، وقال : « بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا » . (٥٣) وكان قاذف الافك من قرابة ابي بكر الصديق رضى الله عنه وكان يحسن اليه (٥٤) فلما قال من بهتان عظيم قرر ابوبكر أن يوقف احسانه فنزلت الآية « ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله .

وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم . (٥٥)
 فلما سمع ابوبكر صفح عنه وعاد يحسن اليه . (٥٦)
 وعندما توفى عبدالله ابن ابي ، عارض عمر بن الخطاب رضى الله
 عنه قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بالصلوة عليه فرده الرسول بقوله :
 » يا عمر اخر عنى انى قد خيرت فاخترت ، قد قيل لى استغفر لهم اولا
 تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم (٥٧) فلو اعلم
 انى ان زدت على السبعين غفر له لزدت (٥٨) . ولكن الله تعالى لم يلبث
 أن انزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم يأمره بعدم الصلاة
 على المنافقين : » ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره
 انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون « (٥٩) .

مبدأ التوحيد أساس النظام الديمقراطي فى الاسلام :

لكى ينسف الاسلام كافة الافكار الاوتوقراطية والسياسات
 الفردية والدكتاتورية المقيتة وحكم الفرد الواحد ، خص الفردية بذاته
 العارفة دون غيرها فهو العالم بشئون عباده لأنه هو الذى خلقهم دون
 غيره وهو أعلم بمقتضيات أمورهم لذلك وضع شئون التشريع بيده دون
 غيره ولكنه لم ينس الانسان فى ذلك فاختر الله تعالى لنفسه وضع
 المبادئ العامة للتشريع وترك تفاصيل ذلك للانسان ليتفكر ويتدبر
 ويستنبط القوانين الصالحة لكل زمان ومكان بنفسه على ان تتمشى مع
 الخطوط العامة لمبادئ التشريع الاسلامى القائمة على العدل
 والاحسان . (٦٠) .

ومبدأ التوحيد يعنى تحرير الانسان من كل القوى فى الطبيعة
 وانعتاقه من كل القيود والاغلال لأن المسلم لم يعد يخاف الا الله ولم
 يعد يسجد الا الله ولم يعد يسير الا على سنن الله فى الكون .

وإذا كانت هذه هي فلسفة التوحيد وابعادها الحققة فكيف يمكن للاسلام ان يسمح بالحكم الفردى وكيف يمكن للافراد المسلمة ان تخشى من حكامها فى ممارسة كافة حقوقها الشرعية الانسانية منها أو السياسية أو القانونية أو العامة ؟ وكيف يمكن ان يتصور انسان أن الشخصية الاسلامية الفذة يمكن أن تخشى من حكامها او اولى الأمر منهم ؟ وكيف لا تكون الحياة السياسية ملئية بالحركة والنقاش والجدال والمعارضة بحثا وآراء ، لافضل فى كل الأمور التى يتخذها حكام المسلمين (٦١) . فالفرد فى المجتمع الاسلامى لم يعد يخشى القوى الدنيوية مهما كبرت وعظمت وطفعت وقمعت ، لان مخافة الله سبحانه وتعالى هى الاساسية ولأن مبدأ التوحيد قد منح الانسان كافة الحقوق الانسانية التى لم يتوصل اليها المجتمع الغربى الا بصورة متأخرة جدا . يتضح اذا من دراسة اولية لمبدأ التوحيد ان الله وضع الأسس الايجابية للديمقراطية فى الاسلام ومنح الفرد كافة حرياته الاساسية ولم يقيدھا الا بقيود طبيعية وهى حدود الله تعالى (٦٢) .

ونستنتج من ذلك مايلى :

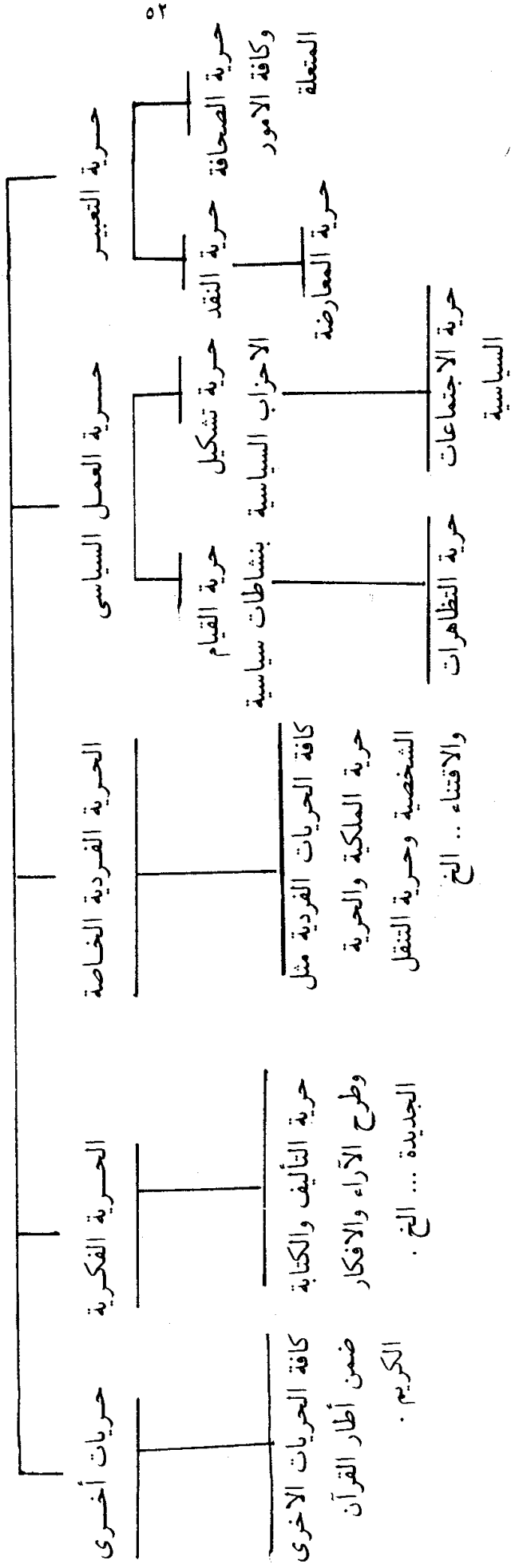
وإذا كان الاسلام بفعل تحريره الفرد من كل القيود المادية والدنيوية قد جعل من الأمة المسلمة خير أمة أخرجت للناس . (٦٣) فكيف يمكن ان يمارس المسلم هذه الحريات دون وجود جو ديمقراطى متكامل ومحترم من قبل كافة المسلمين ؟

وإذا كان جل اهتمام الانسان المسلم الحكم بما انزل الله وتطویر وازدهار البشرية جمعاء ، افلا يتحتم عليه ان يمارس حقوقه هذه بنظام وبأسلوب علمى مدروس لكى يضمن ان السلطات التشريعية والتنفيذية والادارية بايد امينة مخلصه ؟ وإذا كان الامر كذلك فما هو الضير فى

مبدأ التوجيه ،

منح الحقوق الانسانية

مفهوم هذه الحقوق العصري هو



تبنى أى نظام ديمقراطى متقدم فى العالم ؟ بل ماهو الضير فى ادخال تغييرات وتعديلات عليه لتحسينه بين الآونة والاخرى انه بذلك لم يخرق اساس التوحيد الذى قام عليه الاسلام بل انه يؤكد هذا الاساس .

وينبغى التمييز كل التمييز بين عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء الراشدين وعصرنا الحاضر . فالتطور السياسى والاجتماعى كان بدائيا بالمقارنة مع عصرنا الحاضر ، وكانت الأمة تعيش فى ظروف بداية الرسالة الاسلامية لذلك لم يكن هيكلها السياسى مشابها للهيكل السياسى المتقدم حاليا بعصر القرن العشرين لذلك فان من الضرورة القصوى تبنى النظام الديمقراطى وادخال مبدأ الانتخابات العامة فى البلاد الاسلامية شريطة أن لاتكون مبنية على نظام تشريعى وضعى وانما على دستور الانسان الخالد وهو القرآن الكريم . فالمجلس النيابى اذا سيناظ بصلاحيات اجتهادية للبت فى أمور الدولة ضمن المبادئ الاساسية العامة لدستورها الاول والآخر وهو القرآن الكريم .

كما يمكن انتخاب مجلس الشورى ليكون الساعد الايمن للمجلس النيابى ويقدم له افكاره وآراه حول قضايا الدين والدنيا . ان المعنى الشمولى للديمقراطية فى الاسلام تحتم على اعضاء المجلس النيابى ومجلس الشورى ورئيس الجمهورية أن يكونوا على اتصال دائم مع افراد الشعب والامعان بالافكار والمبادئ التى يقدمونها وتبنى الصالح منهم . كما ان النتائج الاولية المترتبة على ذلك هى منح حريات واسعة جدا للصحافة واجهزة الاعلام لكافة العناصر السياسية المؤيدة والمعارضة وافساح المجال امامها لتقول كلمة الحق ولتنقد

أجهزة الدولة لكي تظل هذه الأجهزة تقوم باحقاق الحق وابطال الباطل والسير على سنن الله وأحكامه ولتحقيق اهداف الاسلام فى خلق مجتمع الكفاية والعدل ، مجتمع اللافوراق الاجتماعية ، مجتمع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مجتمع انعدام كافة الفوارق الجنسية واللون والنسب والعرق ، اذ يقول الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » . وينبغى ادراك ان الديمقراطية فى الاسلام ليست مركزية فقط وانما يجب ان تنطلق من كل محلة وقرية ومدينة وهذا يتطلب تشكيل لجان ديمقراطية أو لجان مراقبة من القاعدة الى القمة لكي تطبق مبدأ عمر الفاروق « من اين لك هذا » ؟ ولكي تشرف على تطبيق احكام الله وتحارب العناصر المرتشية والفاصلة وغير الكفاءة وتعمل على انسجام كافة طبقات المجتمع وائتلافها وتحابها واعتصامها بحبل الله الوثيق . ٦٤) ويمكن أن نستخلص من كل ماتقدم مايلى :



الحريات السياسية فى الاسلام

⋮

مجالس ديمقراطية من القاعدة الى القمة

⋮
أى

مجالس المحليات ، مجالس القرى والارياف ، مجالس المدن

⋮
المجلس الموحد للمدينة

⋮
المجلس الديمقراطى الموحد للمدن

⋮
مجالس الاقاليم الديمقراطية

⋮
المجلس الاقليمى الديمقراطى الموحد

⋮
المجلس المركزى الديمقراطى العالم

ملاحظات و مراجع

- ١- سورة النساء - ٥٨
- ٢- سورة المائدة - ٤٤
- ٣- الله سبحانه وتعالى .
- ٤- قال تعالى « ولکم فی رسول الله اسوة حسنة » .
- ٥- يعتقد انه ابن أم مكتوم وهو رجل من بني فهر .
- ٦- عيس - ١ - ١١ .
- ٧- الحاقة - ٤٤ - ٤٧ .
- ٨- القلم - ٤ .
- ٩- التحريم - ١ .
- ١٠- لانقصد بذلك المعارضة بمفهومها البرلماني الاوربي الحالي .
- ١١- الاحزاب - ٣٧ .
- ١٢- الاحزاب ٣٨ .
- ١٣- البقرة - ٢٥٦ ص
- ١٤- النساء - ١٤٤ .
- ١٥- الاعلى - ٦
- ١٦- الانفال ٦٨
- ١٧- انظر تأويل مختلف الحديث ص ١٩٨
- ١٨- اسرى - ٧٤ .
- ١٩- د . محمد سعيد رمضان البوطي « رفقه السيرة من الميلاد الى الهجرة » لبنان (دارالفكر) ١٩٧٦ م الطبعة الاولى ص ٣٩ .
- ٢٠- الكهف - ٥٥ .
- ٢١- النحل - ١٢٥ .
- ٢٢- آل عمران - ١٥٩ .
- ٢٣- آل عمران - ١٥٩
- ٢٤- شوري - ٣٨ .
- ٢٥- انظر سيرة ابن هشام ج ٣ ، ص ٢٩٣ .
- ٢٦- راجع الفتنة الكبرى د . طه حسين مصر دارالمعارف ١٩٦٢ م ، ص ٢٣ .

- ٢٧- الانفصال - ٦٧ - ٦٨ .
- ٢٨- المائدة - ٣ .
- ٢٩- راجع مرآة الاسلام د. طه حسين مصر دار المعارف ١٩٥٩ م ص ٩٢- ١١٤ .
- ٣٠- المصدر السابق - ص ٢٩٢ .
- ٣١- د. طه حسين و الشيخان ، دارالمعارف بمصر ١٩٦١ م ص ١٣٥ .
- ٣٢- المصدر السابق - ص ١٣٧ .
- ٣٣- فقه السيرة للبوطي ج ٢ ، ص ٣٣ .
- ٣٤- جيرائيلى - ص ٥
- ٣٥- القرآن ملى بوصف الاعراب لاسيما التوبة - ٩٧ - ٩٨ - ١٠١ والفتح - ١١ - ١٢ والحجرات - ١٣ - ١٧ .
- ٣٦- دروزه - ص ٢٧٢ .
- ٣٧- المجادلة - ٢٢ .
- ٣٨- طه حسين الفتنة الكبرى - ص ٨
- ٣٩- ابن هشام - ج ١ ، ص ٤٢٠
- ٤٠- النحل الآية - ١٠٣ .
- ٤١- (زاد المعاد فى هدى خير العباد) ابن قيم الجوزية ، مكتب المنار الاسلامية ، الكويت الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م ، ج ٣ ، ص ٦١١ .
- ٤٢- ابن قيم الجوزية - ج ٢ ، ص ٢٩٥ .
- ٤٣- الشيخان - طه حسين ، ص ٢٣ .
- ٤٤- ابن قيم الجوزية - ج ٣ ، ص ٢٧٣ .
- ٤٥- اخرجه البخارى وابن هشام .
- ٤٦- ابن هشام - ج ٢ ، ص ٥
- ٤٧- المصدر السابق - ج ٢ ، ص ١٥ - ١٦ .
- ٤٨- اليعقوبى - ص ٢٦
- ٤٩- البخارى - ج ٧ ، ص ١٥٧ - ١٥٩ .
- ٥٠- ابن هشام - ج ٢ ، ص ٥ .
- ٥١- المصدر السابق ج ٣ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .
- ٥٢- النور - ١١ - ١٥
- ٥٣- فقه السيرة من الميلاد الى الهجرة ، د. محمد سعيد رمضان البوطى ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .
- ٥٤- دكتور طه حسين - الشيخان ص ٢٥ .
- ٥٥- النور - ٢٢ .
- ٥٦- الدكتور طه حسين - الشيخان ص ٢٥ .

- ٥٧ - التسوية - ٨٠ .
- ٥٨ - ابن هشام ج ٤ ، ص ٢١٠ - ٢١١ .
- ٥٩ - التسوية - ٨٤ .
- ٦٠ - جاسم محمد تقى - دينا ميكية العبادة ، مجلة الدراسات الاسلامية العدد الثانى المجلد الرابع عشر السنة ١٩٧٩ م .
- ٦١ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فى اختلاف امتى رحمة » .
- ٦٢ - قال تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها » .
- ٦٣ - قال تعالى - « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ... » .

